# علم النفس الجنائي

## قسم علم النفس / المرحلة الثالثة

## 2026-2025

**المدخل الى علم النفس الجنائي:**

يودع في السجون كل عام في جميع انحاء العالم عدة ملايين من البشر وذلك جراء للأفعال التي يرتكبونها وتعتبرها المجتمعات التي يعيشون فيها افعالاً إجرامية، وفي مقابل هؤلاء يوجد ملايين الضحايا الذين وقع عليهم ضرر بسبب هذه الأفعال الاجرامية، وان علم النفس هو العلم الذي يدرس سلوك الانسان وذلك بقصد الوصول إلى معرفة دقيقة بهذا السلوك، اذ تسير هذه المعرفة في ثلاثة محاور هي:

1. وصف سلوك الانسان وصفاً دقيقاً سواء كان هذا السلوك سويا أو غير سوي.
2. تفسير هذا السلوك من حيث معرفة أسبابه ودوافعه.
3. محاولة التنبؤ بهذا السلوك، أو توقع الحالة التي سيكون عليها سلوك شخص ما إذا وضع في ظروف معينة ومن ثم التحكم في هذا السلوك وضبطه وتعديله.

ويعد علم النفس الجنائي من التخصصات الحديثة ومازال الكثيرين يجهلونه ولا يقدّرون اهميته، والدور الذي يمكن ان يلعبه في مكافحة الجريمة.

ويشترك علم النفس الجنائي مع القانون الذي يقنن السلوك الانساني، في دراسة هذا السلوك لان القانون هو مجموعة من القواعد والانظمة التي تضعها الدولة لضبط السلوك الانساني ويلزم الاقرار بها والاذعان لها، والقانون هو المبادئ المقررة من قبل السلطات العليا او الدولة، وهو جملة من القواعد التي تحدد سلوك الانسان وتقول ان هذا الفعل مطابق للقانون وان ذاك الفعل غير مطابق فتبيح الاول وتجرم الثاني وهذا هو المقصود بان القانون هو تقييد لسلوك الانسان.

فاذا كان علم النفس هو العلم الذي يدرس سلوك الانسان، والقانون هو العلم الذي يقنن سلوك الانسان فان هذين العلمين يحتلان أرضيه مشتركة ولهما نفس الاهتمام وهو سلوك الانسان.

ان المنطقة التي يلامس فيها علم النفس القانون هي ساحة علم النفس الجنائي وميدانه ومن ثم يمكن القول ان علم النفس الجنائي هو فرع من فروع علم النفس التطبيقي يهتم بدراسة السلوك الانساني في اطار تعامل هذا السلوك مع القانون او ان علم النفس الجنائي هو فرع من علم النفس المعاصر يهتم بتطبيق المعارف النفسية في المجال الجنائي او الاجرامي أي انه تطبيق لمبادئ علم النفس في المواقف التي يتعامل فيها الانسان مع القانون، وعلم النفس الجنائي او علم النفس القضائي هو احدى الفروع التطبيقية لعلم النفس ويختص بدراسة ظروف وملابسات مرتكب الجريمة، وما هي الاسباب والدوافع التي ادت به الى ارتكابها، في محاولة لتفادى الجريمة مثله مثل علم النفس الاجتماعي ولكن الفرق ان علم النفس الجنائي يهتم بتطبيق مبادئ علم النفس لفهم جانب من جوانب حياة الانسان وهو مجال الجريمة والقضاء وله صلة وثيقة بفروع علم النفس الاخرى كعلم الاجتماع الجنائي الذي يختص

بمعالجة الامراض الاجتماعية واثرها في ارتكاب الجريمة وعلم النفس المعرفي وعلم نفس النمو وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس الكلينيكي. اذن هو علم دراسة أفكار، ونوايا، وردود فعل المجرمين التي تلعب دوراً في ارتكاب الجريمة.

تطور علم النفس الجنائي:

تكمن اهمية دراسة تاريخ علم النفس في ابراز كيفية تطور هذا العلم وكيفية نموه والطريق التي سلكها للوصول الى ما هو عليه الآن، وتجاهل ماضي علم النفس معناه اهمال لمصدر أساسي من مصادر فهم هذا العلم، لان فهم الحاضر لا يتأتى لنا دون الاحاطة بالماضي، وفي دراسة الماضي عبرة مستفادة من جهد العلماء ومعاناتهم في سبيل الوصول الى بناء هذا الفرع من المعرفة الذي نسميه علم النفس وبناء القاعدة المعلوماتية لهذا العلم.

وان علم النفس الجنائي هو فرع تطبيقي من فروع علم النفس، يهتم بتطبيق المعارف والمعلومات والنظريات النفسية في مجال الجريمة ومن الامور الهامة في تاريخ علم النفس توالي مسيرة فروعه بعضها مع بعض.

فتطور علم النفس الجنائي ومر بمراحل كثيرة، فقد تحدث فلاسفة الاغريق القدامى مثل أبقراط ، وسقراط، وافلاطون، و أرسطو، عن المجرمين بوصفهم ذوي نفوس فاسدة أساسها عيوب خلقية وجسمية.

والمتتبع لمجريات التحقيق عند عرب الجاهلية يجد أنهم اعتمدوا على عدة وسائل منطقية في كشف حقيقة الحادث الاجرامي وفي المقدمة تأتي شهادة الشهود والفراسة واليمين، وينصب التحقيق عندهم على الانسان فقط، وتوفير الضمانات للمتهم كاشتراط العدالة في البينة الشخصية أي شهادة الشهود.

وفي القرون الوسطى ظهر اتجاه فلسفي آخر يرمي إلى استيضاح طبيعة النفوس من خلال الشواهد الجسدية، ثم في مرحلة تالية سادت نظرية خرافية تربط بين تكوين النفس ذات الميول الإجرامية وبين الكواكب.

وبعد تطور علم النفس ودخوله في المجالات التطبيقية أخذ هذا العلم مكانه بين العلوم ومنذ انشاء فونت لمختبره في مدينة ليبزج عام 1879م قامت نهضة شاملة في علم النفس ومع توسع المعلومات النظرية والدراسات التجريبية ظهرت الفروع التطبيقية لتعرّف جمهور الناس بما يمكن ان يقدمه لهم علم النفس من خدمات في مجالات الحياة اليومية المختلفة،

وفي عام 1945م وضع دي توليدو نظرية أصبحت أساس الدراسات النفسية الجنائية وهي نظرية التكوين الإجرامي أو الاستعداد السابق للنفس البشرية، والتي انتهى فيها إلى وجود تفاعل نفسي داخلي لدى الإنسان، هذا التفاعل يفسر النزعة الإجرامية لدى بني البشر، وأن الجريمة هي وليدة شذوذ غريزي.

إن علم النفس كائن حي له أعضاء وهذه الاعضاء هي فروعه المختلفة وهذه الفروع تسند بعضها البعض تتعاون فيما بينها وسيتضح لنا من خلال العرض التاريخي أنه لا يمكن فصل فروع علم النفس عن بعضها البعض فصل تاما ذلك ان اتصالها أمر وثيق، وما تقسيم علم النفس إلى فروع الا مجرد عملية تنظيم لمادة علمية واحدة إلى أقسام وأجزاء تسهيلا للدراسة والبحث لان وحدة علم النفس الموضوعية حقيقة لا يجادل فيها عاقل.

ان دراستنا لتاريخ علم النفس الجنائي مرتبطة بدراستنا لتاريخ علم النفس بوجه عام، ونصل من هذه الدراسة الى فائدة هي تعميق فهمنا وتصورنا لهذا العلم.

ويمكن ايجاز المراحل التاريخية لعلم النفس الجنائي في النقاط الاتية:

اولا: جذور علم النفس الجنائي:

1. في سنة 1893م وجه جيمس ماكين كاتل Cattel بعض الاسئلة الى مجموعة من طلاب جامعة كولومبيا منها:

- عندما تقف الخيل في مواجهة الريح هل توجه رأسها الى الريح او توجه مؤخرتها؟
- كيف كان الطقس في الاسبوع الماضي؟
- هل تسقط أوراق شجرة البلوط في مطلع الخريف أو في أواخره؟

ويمكن اعتبارها أول محاولة علمية لدراسة كيفية تقييم الشهادة من الناحية السيكولوجية ذلك أن هذه الاسئلة هي من قبيل الاسئلة التي يمكن ان توجه من القاضي الى الشهود.

أخطأ العديد من طلبة كاتل في الاجابة عن أشياء يرونها بصفة دائمة حديثة

الوقوع مما يدل على أن الادراك والتذكر في واقع الحياة اليومية يحيط بهما الخلط من كل جانب، بل الغريب أن بعض هؤلاء الطلبة كانوا واثقين من دقة اجابتهم عن الاسئلة رغم وجود العديد من الاخطاء فيها، وهذه التجربة تعتبر من بدايات علم النفس الجنائي لأنها أثارت الاهتمام بدراسة العوامل النفسية التي تؤثر على كفاءة الشهادة القضائية ومن الطريف أن نذكر أن هذه التجربة اجريت على عينات أخرى من الطلبة في الجامعات الامريكية الاخرى وكانت النتائج مشابهة الى حد كبير لنتائج تجربة كاتل.

2. وفي أوربا قام العالم الفرنسي الفريد بينيه عام 1900م بإجراء دراسات

عن كفاءة الشهادة القضائية، ونشر عام 1905م كتيبا عن دراسات علم النفس القضائي، أضف الى ذلك ان العالم الالماني وليم شترن أجرى عام 1901م تجربة رائدة في مجال علم النفس الجنائي حضرها طلبة جامعة برلين الذين يدرسون القانون، وكانت التجربة عبارة عن معركة بين اثنين من الطلبة بسبب خلاف حول إحدى القضايا بحيث أن أحدهما سحب مسدسه في مواجهة الاخر، وهنا تدخل العالم القائم بالتجربة وهو شترن وأنهى المشاجرة التي كانت تمثيلية مرتبة سلفا بين الطالبين المشاركين فيها بإيعاز من شترن، وبعد انهاء المشاجرة طلب

شترن من الطلبة المشاهدين الذين يدرسون القانون الادلاء بشهادتهم حول الواقعة التي شاهدوها كتابة، ورغم أنهم طلبة قانون ويعرفون العوامل المؤدية إلى تحريف الشهادة فإن أحدا منهم لم تكن شهادته دقيقة تماما، بل حفلت جميع الشهادات بالأخطاء، وقد تراوحت هذه الاخطاء بين أربعة أخطاء الى اثني عشر خطأ لكل طالب، ومن الغريب أن الواقعة الرئيسة في هذه التجربة وهي سحب أحد المتشاجرين لمسدسه، كانت مجال للعديد من أخطاء الشهادة حيث بلغت الاثارة ذروتها عند سحبه لمسدسه، وقد توصل شترن إلى أن الانفعالات الشديدة تؤدي إلى تدني كفاءة عملية الاسترجاع أو التذكر، بمعنى حدوث أخطاء في التذكر والاسترجاع إذا كانت عملية المشاهدة لواقعة ما مشحونة بشحنة انفعالية قوية.

وقد استمر اهتمام شترن بموضوع الجوانب النفسية في الشهادة القضائية، حيث أصدر عام 1906م دورية علمية تحت اسم علم النفس والشهادة القضائية وتوسعت هذه الدورية العلمية فيما بعد، وناقشت موضوعات هامة مثل دور الاسئلة الايحائية من المحقق في تحريف الشهادة، والعوامل المؤدية الى الانحياز في الشهادة القضائية، مثل الاتجاهات، والافكار المسبقة، وموضوعات أخرى مثل الشهادة الجنائية للأطفال والشهادة الجنائية للمسنين، وأثر تقدم العهد بالواقعة على دقة الشهادة الجنائية، بحيث يمكن القول أن علم النفس الجنائي بدأ بدراسة الشهادة الجنائية، وفى عام 1908م توسعت هذه الدورية العلمية لتشمل موضوعات عدة في علم النفس التطبيقي.

3. ومن مظاهر الاهتمام بعلم النفس الجنائي في هذا الوقت أي بداية القرن العشرين أنه كان يستفاد من علماء النفس كخبراء في تقييم الشهادة القضائية، ومن القضايا المثيرة التي عرفت في هذا الجال جريمة وقعت عام 1899م في ألمانيا واتهم فيها رجل بقتل ثلاث نساء وقد قام بدراسة هذه القضية أحد المختصين في علم النفس، وهو نوتزنج Notzing حيث صاحب التحقيق في هذه الجريمة ضجة اعلامية كبيرة، وقد أثرت هذه الضجة على شهادة الشهود بحيث اصبح الشهود بسبب الضجيج الاعلامي لا يميزون بين الوقائع التي كانوا شهود عيان عليها، وبين الوقائع التي تداولتها الصحف وما حفلت به من مبالغات واثارة، أي أن الشهود أصبحوا يخلطون بين ما شاهدوه بأنفسهم وبين ما تروجه الصحف من معلومات عن الحادث حيث تأكد تأثير الايحاء على تذكر الواقعة الجنائية وعلى الشهادة الجنائية بوجه عام.

ثانيا: علم النفس الجنائي في القرن العشرين:

1. في بداية القرن العشرين لم يكن علماء النفس الامريكيين على اهتمام كبير بتطبيق علم النفس في المجال الجنائي، ولعل ذلك راجع إلى التأثير الامثل لعملاق علم النفس التجريبي فونت الذى كان يهتم باستقصاء الجانب التنظيري والتجريبي لعلم النفس دون الاهتمام بالجانب التطبيقي وكان يشدد على إعلاء التنظير والتجريب دون التطبيق، وقد سايره في ذلك تلاميذه

2. ولم يشذ عنهم إلا القليل ومنهم كاتل ومنهم ايضا منستربرج Munsterberg وهو عالم أمريكي الجنسية ألماني الاصل وقد اهتم بتطبيقات علم النفس في مجالات الحياة اليومية وعلى رأسها المجال الجنائي والمجال الصناعي، ويعتبر الاب الروحي لعلم النفس التطبيقي.

ومن أبلغ مظاهر اهتمامه بعلم النفس الجنائي أنه أصدر كتابا بعنوان "على منصة الشهادة" سنة 1908م وكان لهذا الكتاب شعبية واسعة في حينه. وقد أشار فيه منستربرج إلى مشاهداته وملاحظاته لما يقع أثناء المحاكمة من مداخلات وقال فيه إن علماء النفس بمعلوماتهم عن موضوعات هامة مثل الادراك والتذكر يستطيعون جيدا فهم الجوانب النفسية في الشهادة القضائية ومع ذلك فقد أشار في نفس الكتاب إلى أن الانحيازات والانفعالات والدوافع فيها قدر من النقص والتناقض ورغم شعبية كتابه (على منصة الشهادة) الا انه لم يلق قبولا من الجهات القضائية في ذلك الوقت وربما يرجع ذلك إلى أن علم النفس في ذلك الوقت لم تكن له قاعدة

معلوماتية قوية بحيث يلقى قبولا لدى رجال القضاء.

ورغم بعض التحفظات التي أثيرت حول جهود منستربرج لأنه أثار قطيعة بين القانون وعلم النفس ربما لرفض أعضاء الهيئة القضائية ما اعتبروه منه تدخل في عملهم إلا أن انجازاته تعد جزءا لا يتجزأ من تاريخ علم النفس الجنائي.